ماذا نعني لهذا العالم؟

أيها الاصدقاء الاعزاء

يطيب لي ان استهل مخاطبتكم بالتحية العربية التقليدية "السلام عليكم". ولعلكم تعلمون ان التحية التقليدية لدى ابناء عمومتنا اليهود هي "شلوم عليخم". وتلاحظون أيها السادة مدى التجانس اللفظي والصوتي في التحيتين. هكذا فاننا ازاء تقارب شديد في اللغة وهاوية سحيقة في السياسة. وكم امل وأتمنى ان يأتي ذلك اليوم الذي تنسجم فيه الكلمات مع الواقع السياسي في بلادنا ومنطقتنا.

لقد استمعنا في الجلستين السابقتين الى مداخلات طيبة واقوال جميلة تشير الى اهتمام حقيقي بالموضوع الذي يشكل جوهر لقائنا، موضوع السلام وضرورة انقاذ البشرية من خطر السلاح النووي. الا اننا لاحظنا اعتماد التعميم في كل ما طرح هنا من قبل واعتقد انه آن الاوان للانتقال الى شيء من التفصيل.

هناك اجماع واضح على خطورة التسلح النووي ومشروع حرب النجوم، ولا بد من مناقشة الاخطار الملموسة الى جانب البحث في الاخطار المنظورة، لا بد من معالجة القضايا العينية والوقائع الراهنة، التي تشكل خطرا مباشرا على السلام المنطقي والعالمي، كالقضية

الفلسطينية والقمع العنصري والجوع والعدوان والتلوث الاجتماعي والبيئي، اننا مطالبون برؤية العلاقة الجدلية بين مسائل الحرب والسلام الصغرى والكبرى، الملحة والمؤجلة، في هذه المنطقة او تلك وفي العالم بأسره.

إن التعميم سواء كان مقصودا او عفويا من شأنه ان يؤدي الى المساواة وتوزيع المسؤوليات بشكل غير عادل اطلاقا، فهل تجوز المساواة بين الشركات متعددة الجنسيات وبين اطفال بيافرا؟ وهل تصح ادانة نظام بريتوريا العنصري والافارقة المقاتلين من اجل الحرية وكرامة الانسان؟ وهل تليق بنا ادانة الشعب الفلسطيني وشعب نيكاراغوا حتى ندين امريكا واسرائيل؟ اما من ضحية؟ اما من قاتل؟ اتجوز المساواة بين القاتل والضحية؟

أيها الاخوة المحترمون،

قبل خمسة عشر عاما زرت بريست ليتوفسك على الحدود السوفييتية الغربية. وتأثرت كثيرا بقصة البطولة في مواجهة الحصار، حيث اضطر الناس السوفييت المقاومون الى التهام طعام الخيول لمكافحة الموت جوعا داخل الحصار .. لقد هزتني واقعة البطولة في حصار بريست ليتوفسك حتى الاعماق، وعبرت عن مشاعري انذاك بقصيدة. واليوم، في المخيمات الفلسطينية، يستصدرون فتوى واذنا من السماء لاكل جثث الشهداء، فهل تحرك شعور واستيقظ ضمير؟ ام اننا نحن واطفالنا لا نعني شيئا لهذا العالم؟

وانا هنا لا اطلب قصيدة. اكتفي باحتجاج نثري للغاية، على ما يجري الان وفي هذه اللحظة في المخيمات الفلسطينية.

انني اتكلم اليكم

ان لم تكونوا انتم، فمن؟

وان لم يكن هنا، فاين؟

وان لم يكن الان، فمتى؟

أيها الاصدقاء الاعزاء!

لقد عممنا كثيرا وهذا يجعلنا نبدو جميلين. أما الدخول في التفاصيل فمسألة اخرى تتطلب شيئا من الشجاعة. وانه لامر جيد أن نبدو جميلين انما الافضل من ذلك هو ان نكون جميلين وشجعانا في أن.

شكرا، ثانك يو، سباسيبا وتودا رابا!!

«الاتحاد» ١٩٨٧/٢/١٧.

(كلمة سميح القاسم في لقاء موسكو العالمي للمثقفين، الذي انعقد في ٨٧/٢/١٤ بدعوة من ميخائيل غورباتشوف. وهذا النص مترجم عن الأصل الانجليزي الذي ألقيت به الكلمة.)